العيب والحرام في عالم الروائية ميسلون هادي

م.م. زينب عبدالرضا علي
مديرية تربية ديالى

الملخص:

يهدف البحث إلى متابعة مفهومي العيب والحرام في عالم الروائية (ميسلون هادي)؛ بعدِّهما من شواغل كتاباتها الروائية التي شكلت المتن الحكائي؛ إذ عبّرت الروائية من خلالهما عن احتجاجها الدائم على الواقع المعيش الذي نلحظ سطوته على شمولية رواياتها، فكانت خير من وقف عند الحالة الاجتماعية، والسياسية التي مَرَّ بها الإنسان العراقيّ عارضة، ومحللة، وناقدة.

وقد تبنيت سلطة ثقافة العيب في مجتمعنا التي أخذت تستدرج الإنسان لتُغيب عن ثقافة الحرام؛ فأصبحت من العموميات التي تنافس القوانين وحتى الدِّين، وقد اتخذت الروائية من ثيمة الحرام وسيلة لتعرية بعض الحكومات السياسية، وانتقادها لصفة الازدواجية، والرياء في شخصيّات بعضهم؛ باتخاذهم من الدِّين وسيلة لكسب الشرعية، مع وقوفها عند مسألة إلزام المرأة بارتداء الحجاب بصفة العيب، مؤكدة أَنَّ الخوف هو الدافع الأَوّل وراء ارتداء العديد من شخصيّاتها النسويّة للحجاب، مع ولوجها في العوالم الداخلية الحميمية للمرأة المحجبة التي باتت تعيش تحت حجابها صراعات عنيفة قد لا يعلمها أحد سواها.

الكلمات المفتاحية: العيب، الحرام، عالم روائي.

استعان البحث في فضاء تشكّله النصي بالمنهج الوصفي ذي الآلية التحليلية؛ لرصد إشكالية العيب والحرام في متون الروائية، فضلًا عن استعانته بمجموعة من المراجع السردية الخاصة بالنقد، والله الموفق.

Abstract:

Vice and Taboo in The Novelist
Maialoon Hadi's World

The present study deals with the concepts of vice and taboo in the novelist, Masialoon Hadi's world. These two concepts were paid great attention by Maisaloon Hadi in her writings (novels) and formed the body of these novels. The novelist expressed her continuous protest against life reality through these two concepts which are dominant in here novels. She is the best novelist who stands agalnst the social and the political state which Iraqis pass through.

The concept of vice is very clear in our society and it is the dominant in comparison the taboo. It becomes comprehensive and it competes laws and religion. The novelist used the concept of taboo as a means to unmask the Arab governments and she criticized them with hypocrisy and duplicity as they take religion as a means to get on legitimacy and compel women to put on veil because of vice not legality. She emphasized that fear controls women in the Arab Homeland. This case influences her behavior.

The study is of descriptive nature in the analysis of vice and taboo. The researcher consulted many authentic references concerned with criticism

Key words: Vice, Taboo, Novelist world

مُقَدِّمَة

إنَّ العيب أحد المفاهيم المؤثرة في حياة أفراد المجتمع وبمختلف طبقاته؛ فكلمة العيب تطلق على الأشياء المادية، مثل: النقص، والخدش، ويمكن إطلاقها على أفعال الإنسان، وسلوكياته الخاطئة من باب الاستعارة؛ فيتصل العيب بالعديد من المحاذير التي توضع على الجسد واللّغة، فضلًا عن العلاقة مع الآخرين، فقد أضحى العيب بمنزلة العرف بين النَّاس؛ فكانت كلمته رادعًا للعديد من التصرفات المستهجنة وغير المرغوب فيها، مع أَنَّهُ ليس كُلّ ما يطلق عليه عيبًا هو معيبٌ حقًا؛ فأساس العيب الأعراف والتقاليد، وهو مستمد من قواعد الخلق، أَمّا الحرام فهو مصطلح مستمد من شريعة الخلاق، وتعاليم الدِّين، ويستحق من يخالف تلك التعاليم عقاب الدنيا أو دار الآخرة.

وقد اتخذ بعض الروائيين من هذين المفهومين عنوانًا لرواياتهم على نحو ما فعل الروائي (يوسف إدريس) في روايتيه الشهيرتين (العيب) و(الحرام)؛ لما لهما من أبعاد دلالية، واجتماعية، وثقافية، وقد لحظنا انشغال الروائية ميسلون هادي بمتابعة تلك الإشكالية في عالمها، كاشفة عن اختلاط المفاهيم بين النَّاس من خلال شخصيّات رواياتها، ومؤكدة سيطرة ثقافة العيب في المجتمع التي اتصفت بالسلبية؛ لاكتسابها صفة العمومية، الأمر الذي دفع بنا إلى دراسة مفهومي العيب والحرام؛ بهدف الكشف عن تلك الإشكالية، ثمَّ ختمنا دراستنا بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبكشف بالمصادر والمراجع.

والأمل كبير بالله وتوفيقه في المسعى الذي بذلت، والحمد لله أوّلًا وأخيرًا.

ثنائية العيب والحرام:

تُعدُّ ثنائية العيب والحرام من المفاهيم الدينية الاجتماعية التي تم طرحها في العديد من الأعمال الروائية[1]، وهي تنطوي على مقولتين ((تختزلان موقفًا اجتماعيًا يعني الوصف والقيمة في آن واحد، أي حينما نطلق أحداهما فنحن نعني ((الإدانة)) ونصف

((من)) نطلق عليه أو((ما)) نطلق عليه هذا الوصف يستتبع ((الجزاء)) و((العقاب)) على خطأ، أو ذنب اقترفه ضد المجتمع وليس ضد نفسه فقط))[٢].

لقد تعرضت النساء وعلى امتداد المسار الإنساني لنصيب كبير من ثقافة العيب، وهو أمر يعود إلى طبيعة التكوين الفيزيائي المعهود لسلالة حواء وآدم، وعدّ الأنثى المصدر الوحيد للاثم والعار، فالعقيدة الذكورية قد رفعت من شأن الذكر ووصلت به إلى منزلة الإله، فلم يعدّ أمام الأنثى سوى لعب دور العبد الخاضع في ظلِّ استبداد وتسيد أبوي ذكوري يتجسد بسلطة الأب، والأخ، والزوج، وحتى الابن، ولقد عدّت الأنثى في مجتمعاتنا العربية كُلّها عيبًا جملة وتفصيلًا، فنطقُ اسمها عيب، والصوت عيب، والصفة عيب، وكذا الفكر والرأي والشعور[٣].

لقد التفتت الروائية إلى هذه المسألة في العديد من رواياتها؛ فتركت العنان لشخصيّاتها؛ لتعبر عنها عبر سردها الذاتي من خلال ضمير المتكلم بوصفه أداة تعبير لصوت طالما غُيب عن الحضور، فنتابع سرد البطلة (ياسمين) التي تبدو محتجة على جملة التابوهات الصارمة التي وضعتها أسرتها في طريق حياتها ((... لا أتذوق الموطا ولا الفلافل... لا أقص شعري ولا أطيله... لا أقف في الباب ولا خلفه... لا ألعب في الشارع... إذا فات أبناء الجيران أتوارى عن الأنظار... وإذا فات الكناس أتوارى من الناس والشارع والضيوف... يجب أنْ أستحي وأصمت، وكل العيب أنْ أضحك... اضحك؟ أتلفت يمنة ويسرة قبل أَنْ أضحك))[٤].

تؤكد الروائية مِمّا تقدّم على سيطرة ثقافة العيب التي أخذت تستدرج الإنسان لتُغيب عن حياتنا ثقافة الحرام، فثقافة العيب شيء متداول في حياتنا، وقد اتخذت الروائية من السخرية وسيلة للكشف عن اختلاط المفاهيم بين الناس، فالعيب مصدره الناس والحرام مصدره الأوامر الربّانية، وقد يتضافر ((المجتمع مع رواسب العادات والتقاليد في إلزام الفتاة وضبطها بقوانين أكثر مِمَّا كان قد يسمح لها به من قبل، فكل شيء أصبح بحساب، وكل ما يصدر عنها يدخل في باب الحرام، والعيب، والمشتبه، والمنبوذ، من

إظهار زينة إلى الحب إلى السفور إلى الخروج عن التقاليد في الأكل والجلوس والمشي والكلام))[٥].

فهنالك العديد من الإشكاليات التي تحد من حرية المرأة تحت شعار العيب تبدأ بمؤسسة العائلة، ومؤسسة العرف، والمؤسسة الأخلاقية، والمؤسسة الحكومية بأجهزتها التنفيذية والتشريعية، ومؤسسة الرأي العام، فضلًا عن مجموعة القيم والمفاهيم، وكم هائل من التراث الحضاري بجميع أشكاله، حيث يختزن في عمقه مفاهيم الذكورة والأنوثة[٦]، إذ تقول الساردة (ياسمين): ((لا أنظر في العيون إذا نظرت ولا أضحك إذا ضحكت... مصطفى وحده له الحق أَنْ يفعل كل ذلك... أَنْ يختار ملابسه بنفسه، وَأَنْ يلعب خارج البيت إلى وقت متأخر من الليل، وأن يطلق أصواتًا عالية أسمعه من مكاني في غرفة المستشفى))[٧]، فما هو محظور على المرأة مباح إلى الرجل، وهنا يبرز التمييز العنصري الذي يفرضه المجتمع الأبوي على الجنسين، وتظهر الغفلة عما فرضه الدين من تساو بينهما.

إنَّ كلمة (العيب) وما يدخل في طياتها من زجر، وصّد عن أمور قد طغت على حياتنا، وأصبحت تنافس القوانين وحتى الدِّين؛ لتوغلها العميق في العديد من تفاصيل معيشتنا وسلوكنا، وإنَّ أزمة (ياسمين) تبدأ من الجو الأسري، عائلتها تحديدًا ومع أبيها، وأمها، وجدتها؛ وذلك بالتمييز بينها وبين أخيها في كلّ الأمور دون أَنْ توضح لها الأسباب في ذلك التمييز، فهي لا تعلم شيئًا سوى أَنَّها بنت وأخيها ذكر، لقد أحدث هذا التمييز فجوة بينها وبين أسرتها، وعمق إحساسها بالدون والتهميش على مستوى الجنس.

وبذات الأسلوب الساخر تنقل لنا (سعيدة هانم) الشخصيّة المحورية في رواية ((سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية)) الحوار المسرود الدائر بين أحد الشيوخ وعدد من المشاهدين لحلقات برنامج عُرِض على شاشة التلفاز، وهم يطرحون جملة من الأسئلة على مسامعه لمعرفة ما يجهلونه من القضايا الدينية التي تتعلق بمسألتي الحلال والحرام فتتابع ((في الليل جلست استمع مرة أُخرى لشيخ البرنامج، وكانت الأسئلة تنهال عليه... وماذا عن المصافحة؟ حرام أيضًا... وعن الاختلاط أثناء العمل؟ حرام أيضًا... وسفر

المرأة بدون محرم؟ حرام أيضًا... إيهاب توفيق، ومحمد فؤاد، والإخوة تامر ومحمد وعمرو اتصلوا أيضًا... قال لهم: إذا كنتم مطربين فالغناء حرام... فقالوا لَهُ: لا لا لا... لسنا مطربين مجرد تشابه في الأسماء... والأخوات الحاجات يسرى وليلى وإلهام اتصلن به أيضًا حول أمر هام، فقال لهن: هل أنتن ممثلات؟ قلن: لا لا نحن لسنا ممثلات))[٨].

يتجلى بوضوح مواظبة الشخصيّة على الإنصات لما يعرض على شاشة التلفاز من أمور تتعلق بالفتاوى الدينية، وهو ما يتأكد بقولها ((مرة أُخرى))، وهي فتاوى بدت وكأنَّها قد زادت من حيرة الشخصيّة فتكون الحالة المسيطرة على ذاتها، وإنَّ السخرية التي لجأت إليها الروائية مِمَّا تقدّم تعبّر عن موقف الروائية الناقد لممارسات بعض رجال الدِّين وشيوخه، والفتاوى المُحملة بنبرة الإلزام التي يدلون بها، ربما في إشارة من الروائية أَنَّ مهمّة رجال الدِّين تكمن في سعيهم إلى ترسيخ الدين في نفوس أبنائه وتعريفهم بتعاليمه لا نفورهم منه وإبادته، ولاسِيَّمَا أَنَّ البعض من رجال الدِّين وشيوخه غالبًا ما يكتفوا بالتصريح، هذا حلال وذاك حرام دون إيضاح أو تفصيل منهم عن سبب كون هذا الأمر حلال وغيره لا، ويزداد امتعاض الشخصيّة بعد انقطاع الاتصال مع الشيخ وبقائها في حيرتها جاهلة للكثير من الأمور التي تحتاج إلى معرفتها ((والله راح أتخبل... خطوط الموبايلات مشغولة والفيس لا يفي بالغرض... وأنا كنت أريد أنْ أسأل عن كثير من الأشياء))[٩].

وفي رواية ((حفيد البي بي سي)) يكشف الحوار المسرود الدائر بين الموظف الجديد الذي عين للعمل في المكتبة الوطنية بديلًا عن زميلي ((منار)) ((عبدالحليم وبدر)) بعد هجرتهما إلى خارج البلاد، عن كونه من الرجال الضالعين بقضية التحريم الذين طفوا على سطح الواقع العراقي بعد إسقاط المناخ الديني على المجتمع إثر التحولات السياسية والاجتماعية التي لامست حياة جميع أبنائه ومن مختلف الطوائف ((مدت يدها لتصافحه وقالت له:

– مرحبًا.

ولكن الموظف الجديد لم يمد يده، بل سحبها ووضعها جانبًا على صدره؛ لكي لا يصافحها فقال لها وهو يمسح لحيته السوداء كالفحم
– عليكم السلام ورحمة الله وبركاته))[١٠].

لقد أسهم الحوار المسرود إلى جانب الوصف الانتقائي المتجسد بـ ((اللحية السوداء)) في الإحاطة بجانب من الأبعاد الداخلية والخارجية لشخصيّة الرجل المتدين.

وقد يكون لتوالي الحروب، والأزمات التي يتعرض لها الإنسان، وظلم السلطة، وقهرها لأبناء الوطن موجبًا لتحريك المشاعر الدينية في نفوس العديد من الناس، فقد يتجه الإنسان للتدين لقناعته بأَنَّ الإيمان وحده كفيل بمداواة الآلام التي تتسبب بها الحروب، والسلطة المستبدة، والحصار الظالم، ففي رواية ((أجمل حكاية في العالم)) تأخذنا الروائية إلى ثنائية الحلال والحرام التي لا تغادر لسان الرجل المأزوم والد (حسن) الشخصيّة المشاركة في سرد أحداث الرواية فكل شيء برؤيته حرام مع جواز كونه حلالًا برؤية الشرع والدّين على نحو ما يطلعه (حسن) لزميله (دافع) الروائي عن والده، من خلال وصفه المسرور قائلًا: ((بعنا السيارة المحظوظة ووجدنا أنفسنا بلا نقود وبدت لنا الدنيا قاتمة السواد وأصبح أبي بلحية كثة بعد إنْ لم يجد ثمن معجون الحلاقة آدم أو ثمن شفرتها... أقواس النصر وحدها هي صمدت حتى النهاية، وبعد أَنْ مشى تحتها أبي بدشداشة شاكر التي لا تبل ولا تهترأ هي الأُخرى، أصبح كل شيء عنده حرامًا... الضحك حرامًا، والمصافحة حرام... وحتى عندما أخذني في مرة يتيمة إلى مدينة الألعاب، قال لي: لا تركب سفينة نوح؛ لأَنَّ اسمها حرام))[١١].

لقد جعلت (ميسلون هادي) من الوضع الاقتصادي المتدهور الذي يعاني منه والد حسن وانصرافه عن همومه وعوزه بالتدين موازيًا لمآل السلطة السياسية الحاكمة في العراق قبل عام (٢٠٠٣)، وتوجهها بعد ظروف الحصار المريرة والتهديد الأمريكي لسلطاتها إلى إطلاق ما يعرف بالحملة الإيمانية، وقد جاءت عبارتها (أقواس النصر وحدها هي التي صمدت حتى النهاية)؛ لتؤكد على مآل قوى الإسلام السياسي وفشلها قبل خمسة عشر عامًا باعتقادها ((أَنَّ المجتمع العراقي جاهز لتطويعه؛ لأَنَّ لمدة اثنتي عشر عامًا والحروب الثالثة قد أجهزت عليه، وليس عليها إِلَّا بذل القليل من الجهد، كي

تعود بجماهير العراق إلى القرون الوسطى في أسوء التقدير، وتفرض قوانينها، وأعرافها، وتقاليدها))[١٢].

تحاول (ميسلون هادي) أَنْ تلمح إلى التحولات التي طرأت على السلطة الدينية في العقود الأخيرة، التي لا تتباين كثيرًا عن السلطة السياسية الحاكمة للبلاد فكلاهما وجهان لعملة واحدة في سعيهما لامتلاك المواطنين وتدريبهم على الانقياد لهما، وهو ما سعت إليه السلطة الدينية من خلال التحريم والتحليل؛ فتسبب تعصبها بازدياد التمييز الديني والاحتقان الطائفي بين أبناء الشعب العراقيّ؛ الأمر الذي زاد من صراع الإنسان مع ذاته ومع سلطته، إنَّ في كل نتاج نصي تقدمه الروائية تعكس مدى تقدم الرواية النسائية و((نضجها وتؤكد في كل معطى عن تجاوز ذاتها الأنثوية إلى قضايا المجتمع والوطن والقومية عامة، معبرة عن مستوى من الوعي والتجربة أصبح عليها النص الروائي النسائي))[١٣].

إنَّ امتنا العربية تتأثر بعوامل كثيرة بعضها يصل بها إلى حد التقدم والمدنية، والبعض الآخر يقربها من التخلف الذي يرى (قاسم أمين) بان أسبابه كثيرة في واقع مجتمعاتنا الإسلامية وفي تأريخها، إلَّا أَنَّ أهم تلك الأسباب هو الاستبداد والديكتاتورية، وهي ذات الأسباب التي صرح بها رواد النهضة من أمثال: (محمد عبده، وعبدالرحمن الكواكبي، والأفغاني)[١٤]، وإنَّ ذات العوامل التي تؤثر في الأمة تؤثر كذلك في فهم الدِّين وتفسيره تحديدًا[١٥]، فهنالك ارتباط تام بين عادات كُلّ أمة، ومنزلتها من المعارف والمدنية، فتكون العادة هي الأنفذ حكمًا، والأبعد عن التغيير[١٦]، فالعادة ((تتغلب دائمًا على غيرها من العوامل والمؤثرات حتى على الشرائع – ويؤيد ذلك ما نشاهده كل يوم في بلادنا من أن القوانين واللوائح التي توضع لإصلاح هذه الأمة تنقلب في الحال إلى آلة جديدة للفساد وليس هذا بغريب فقد تنقلب العادات على الدِّين نفسه فتفسره وتمسخه بحيث ينكره كل من يعرفه))[١٧].

إنَّ (ميسلون هادي) تتخذ من ثيمة (الحرام) وسيلة لتعرية الحكومات السياسية في روايتها ((سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية)) على نحو ما تسرده (حورية) عمة

(سعيدة هانم) الشخصية المشاركة في الرواية، إذ تقول: ((وفوق القهر يريدون يسوون وحدة عربية... ويتغزلون بالديمقراطية... السكوت عندهم ذهب... والعصى لمن عصى، والقناعة كنز لا يفنى... ولا خلقة ولا أخلاق... تفو عليهم يعيشون في الخراب والكذب والنفاق والكراهية والسب والنميمة، ولكن لما توقع تمناية بالكاع يكولون حرام!!... يحبون الهوسات والانقلابات ولما ينقلب النعال يقلبوه مرة أُخرى لان انقلابه حرام!!))[١٨].

لقد رصدت الروائية من خلال شخصيتها الانتهاكات السياسية التي تقوم بها السلطة السياسية المستترة بغطاء الدِّين بقمعها لحرية الناس ومصادرتها لحقوقهم، فالشخصيّة تنتقد الازدواجية في شخصيّاتهم ورياءهم واتخاذهم من الدين وسيلة لكسب الشرعية، مِمَّا يعكس الوعي السياسي الذي تحمله المرأة الروائية وهي تواكب التطورات السياسية في بلدها بما تحمله من فجائع، ونكسات، وويلات بات الإنسان العراقي ضحيتها الوحيد فتبرز الدعوة المتقدمة لعزل الدين عن الدولة؛ لأَنَّهُ ((إذا تحول إلى عمل سياسي فيصبح عندئذ ذريعة لسلب حرية الإنسان وإرغامه على الامتثال))[١٩].

تتضح خطورة الطرح الإيديولوجي في العالم الروائي ضمن الإطار الديني الذي ينبثق منه، حيث تتراءى آثارها في إشارات عديدة في العقيدة الدينية والسلوكات الخاضعة لها، بعد تشكلها للنفس والوعي واللاوعي، وفي تحريف الذات الطبيعية وإدارة الفرد للقوة، والسلطة، والحياة، والجنس، والتحرر، والحرية، والسياسة[٢٠].

وقد أسهم توظيف الروائية للعديد من الأمثال والأقوال المأثورة ومنها (السكوت عندهم ذهب، والعصا لمن عصى، والقناعة كنز لا يفنى، ولا خلقة ولا أخلاق) بما تحمله من قيم أخلاقية، وتربوية، وتصورات في التعبير عن إرهاصات الأزمة الاجتماعية والسياسية، وقد جاء توظيف الروائية للمثل العامي والفصيح؛ بهدف تحقيق وحدة الشعور وجعل التجربة واقعًا[٢١].

لقد تسببت كلمة (العيب) وما يدخل في سياقها بأزمة البطلة (ياسمين) في رواية ((زينب وماري وياسمين)) منذ طفولتها فقد جعلتها في حيرة دائمة، وتشتت نفسي، وأدت إلى توعكها الصحي، فوالد البطلة يلزمها بارتداء الحجاب والزي الإسلامي بصفة العيب

لا بصفة الواجب الشرعي بعدهما لباسًا شرعيًا تلزم المرأة المسلمة بلباسهما على نحو ما تسرده الراوية بضمير المتكلم قائلة: ((جاؤوا لي بكيس الربطات ولم يجيئوا لي بكيس الفاكهة، عاد أبي في ذلك اليوم الذي ضربني فيه أمام صديقتي تبارك... فقال: إنَّي يجب أَنْ ارتدي الجلباب فوق ملابسي... أولًا؛ لأَنَّ ملابسي تشف وثانيًا لأَنَّها تجعل الجميع ينظر إلي على الدوام، ثمَّ ردد بعض شتائمه المتكررة... أسكتي – انلصمي، أنهجمي، لا أخلي السكين بظهرك، والقندرة بحلقك... يا ساقطة... وفي الحال انطويت على الأرض وعلى نفسي وسقطت على الأرض))[٢٢].

إنَّ جسد الأنثى هو العورة برؤية الأب التي يخشى عليها من التكشف؛ لأَنَّهُ من المحظورات فيقع الاختيار على الزي الإسلامي الحجاب ليكون الحاجز أو الجدار المنيع الذي يحجب المرأة تمامًا عن الرجل ويبعده عن الرمق إليها، فجسد المرأة كان وما زال ((مصدر خوف دائم للرجل فتنه... وهذه النقطة بالذات جعلت الحجاب هو أفضل حل))[٢٣].

فثقافة (العيب) هي ثقافة متأصلة في داخل النفس العربيّة، التي طالما تعالت الأصوات النسوية لرفضها، فلبس الحجاب برؤيتهن يهدف إلى تصنيف المجتمع إلى ذكوري وآخر أنثوي، وتبويب الإنسان في ثنائيات مرفوضة من قبلهن ما بين سيد وعبد، وغالب ومغلوب، وقد جاء اختراق اللغة العامية للفصحى على نحو ما يظهر في الشتائم الموجهة من الأب لابنته (انلصمي، وانهجمي، وأخلي القندرة) بوصفها شكل من أشكال اللغة الوسطى التي تقرب الفصحى من الحياة العامة، فقد استخدمت الروائية العبارات المناسبة التي تميز كُلّ شخصية وتمنح القارئ القدرة على النفاذ في العالم الحي بكل صراعاته وتطوراته.

فالروائية تحاول أنْ تقدَّم من خلال تلك اللغة شريحة حية من الحياة الواقعية لشخصيّات محدودة الثقافة تعيش في مجتمعنا العراقي.

وقد خلقت الروائية لنفور المرأة من الحجاب وتمردها عليه أسبابًا، يمكن أَنْ نلمسها من خلال ما طرحته من نصوص، فاعتماد والد البطلة على أسلوب الترهيب

والزجر بدلا من الترغيب والإقناع في عرضه لمسألة الحجاب على ابنته كانت سببًا من أسباب رفضها في قرارة نفسها لارتدائه، فبات الحجاب فوق رأس (ياسمين) سؤالًا تجهل سرُ الإجابة عنه، وهو ما ترمز إليه الروائية بعلامة الاستفهام فوق رأس شخصيتها على نحو ما تصفه الساردة بضمير المتكلم قائلة: ((لابدّ أَنْ أجده في كل مكان... وأعثر عليه إذا ضاع أصبحت مختلفة عن غيري من البنات وكأنَّي أضع علامة استفهام فوق رأسي أو امتلك رائحة فظيعة خاصة بي...))[٢٤].

تدخل الرواية في العوالم الداخلية الحميمية للمرأة المحجبة التي تعيش تحت حجابها صراعات عنيفة قد لا يعلمها أحد سواها، فقد كان ارتداء ياسمين للحجاب بدافع الخوف من والدها، لا بدافع التبصر بوجوبية ارتدائه؛ مِمَّا يتكشف لنا عن فهم والدها المغلق للدين ومعرفته الضيقة بتعاليمه، التي لو توفرت لديه لكان ألزم ابنته بارتدائه قناعةً، فقد جاء في الذكر الحكيم، العديد من الآيات التي توجب على المرأة ارتداء الحجاب والزي الإسلامي ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[٢٥]، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، بمعنى ((يلبسن الأردية))[٢٦]، ففي هذه الآية دلالة محكمة على التغطية التي تتضح بِعدِّ ((أنَّ الجميع أزواج النبيّﷺ وبناته، ونساء المؤمنين، أمرن بأمر واحد هو: إدناء الجلباب، فعرف من ذلك أَنَّ صفة الجميع واحدة، ولما كان من المجمع عليه: أَنَّ صفة إدناء الأزواج رضوان الله عليهن هو: الحجاب الكامل مع التغطية؛ فينتج من ذلك: إنَّ صفة الإدناء عند البقية (البنات ونساء المؤمنين) كصفته عند الأزواج))[٢٧].

ولقد كان لما تحمله شخصيّة والدها من تناقض وازدواجية سببًا آخر في حيرة الشخصيّة بما يلزمها بالالتزام به، فوالدها كان يبيح لنفسه القيام بالمحرمات مثل شربه للخمر ويزجر أسرته عن فعل أي عمل بصفة العيب والحرام ((طلبت منا مُراقبة القاعة أنْ نخلع الحجاب؛ لأَنَّ الحر شديد ولا رجل سيمر من هذه القاعة فاخلعنه إنْ شئتن الحر شديد... كل البنات خلعنه إلَّا أنا... خفت أَنْ يجيء أبي ويقتلني... يجمع عادة كمية

كبيرة من الحطب ثم يشعلها بعد صب النفط عليها، وعندما تلتهب النار يشعل سيكارته منها ويضع علبة البيرة بقربه ويأكل الحمص...))[٢٨].

يتبين إحساس البطلة بالخوف الناجم عن قمع الأب لذات ابنته الأنثوية فحجم الإذلال، والرعب، والتسلط يظهر عبر استعمال الأفعال (خفت، ويقتلني، ويشعل) فهي أفعال تحمل معاني الفزع والتربص، أَمّا عن السبب الثالث الذي ضاعف من شكها في قضية وجوب ارتداء الحجاب فيبرز بعد التصرف اللاأخلاقي الذي أقدم عليه البقال في محاولته الإمساك بيد (ياسمين) مع ارتدائها للحجاب ((اشتريت العلكة والجكليت بدلًا من اللقم، ووقفت أسفل الدكة التي يوجد عليها المحل وأنا أقارب رجلي بقوة بسبب حسرة البول، وظل شاكر البقال يريد الإمساك بيدي بالرغم من أنني كنت قد وضعت الربطة على رأسي))[٢٩].

إنَّ التصرف غير اللائق الذي بدر من البقال قد عمّق من إحساس الشخصيّة باللاقيمة من وجود الحجاب على رأسها، مِمَّا يُعرب عن فهمها الخاطئ لأسباب ارتدائه ومحدودية النظرة لدوافع لبسه، وهي أسباب قد تشترك الأسرة مع المؤسسة التعليمية في غرسها في نفوس البنات في العديد من المجتمعات الشرقية، على نحو ما يبرز في سرد البطلة ((ياسمين)) قائلة: ((تقول لنا معلمة الدين، أَنْ نلفه بورق سميك لكي لا يقف عليه الذباب... مثلنا نحن البنات الحلوات... يجب أيضًا، كما تقول لفنا بالحجاب لكي لا يقف علينا الذباب))[٣٠].

يفصح النص عن الرؤية الضيقة التي تحملها المعلمة لوجوب ارتداء الحجاب، ومقاصد وضعه على الرأس في الإسلام، فالغاية من الحجاب لا تقتصر على العزل، وإنَّما تعني فلسفة العفة التي تعبّر عن التزام المرأة الديني والخلقي وهو واحد من التشريعات الإسلامية التي تحفظ للمرأة كرامتها وتصونها من التبذل وتجنبها الفتنة والشرور، فليست الغاية من لبس الحجاب هي ستر البدن وحسب...[٣١] قال عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[٣٢].

فالحجاب ((هو شريعة مطهرة الغاية منها الارتقاء بكرامة المرأة، والادخار لمقوماتها، وتعزيز هويتها كأنثى، وتمكين فرديتها كإنسانة مقابل الرجل، وليس المراد هو حجز المرأة والرجل عن المحرمات بحجب مادية، وإنَّما إعانتها على حماية المجتمع من فيروسات الفساد، ووقاية الإنسان من شرور الغريزة، ودعوته لاستثمار منافعها))[٣٣].

إنَّ مناقشة الروائيات لقضية الحجاب تحتاج إلى الجرأة الكافية للطرح، كما تحتاج إلى الحيطة والحذر؛ لكون الحجاب من الثوابت الدينية التي تختصّ بجنس النساء دون الرجال وقد صنفته الدكتورة ((رجاء بن سلامة)) على صنفين الأول أطلقت عليه صفة الإقصائي، أو غير المرئي غايته الأساس الفصل بين الجنسين، والثاني هو حجاب الجسد الذي ينهض بوظيفة الإخفاء[٣٤].

لقد شغل الحجاب حيزًا مهمًّا قيّمًا بات يعرف في الآونة الأخيرة بحقل الدراسات النسوية فغدا همًا معرفيًا نسويًا، وتعددت مقارباته وأبعاده في الخطاب النسوي، ولم يعد محصورًا في بعده الديني[٣٥].

إنّ المرأة في عالم ((ميسلون هادي)) تبحث عن العدالة الإلهية التي خصها الله بها لا المساواة والتحرر المغلوط الذي يتسبب بانزلاقها وراء المحرمات، على نحو ما قدمته بعض الروائيات في أعمالهن لشخصيّات نسوية كانت تجهر باختراقها للتابو الدِّيني وتحتفل بخروجها عن مبادئ المجتمع بذريعة تحقيق المساواة بين الجنسين[٣٦].

إنَّ الدخول والخروج أمران أجازهما الإسلام للمرأة والرجل على حَدٍّ سواء، فقد وضع الإسلام مبادئ وشرّع قوانين عيّن فيها حقوق كل من المرأة والرجل، إلَّا أَنَّ التابو الاجتماعي قد خصّص للمرأة أوقاتًا محددةً لدخولها أو خروجها من منزلها تتباين عمّا خُصص للرجل، فالمعروف عن مجتمعنا العراقي بأَنَّهُ شديد المحافظة رغم تبايناته المختلفة، فالتمييز بين الذكر والأنثى قد انغرس في ذاكرة المجتمعات العربية وهو ما تقدّمه الروائية في روايتها ((زينب وماري وياسمين)) حيث تُظهر تسلط الرجل والد (ياسمين) وتحريمه ما هو حلال من خلال سرد راويتها الذاتي، إذ تقول: ((كل ما هو حلال يصبح حرامًا إذا كان مقصودًا للبنات... إنَّهُ يلوكنا كل يوم في فمه الواسع ثم

يبصقنا إلى التراب عندما يضجر... إذا نزلت أُمي يقول لها: أنتِ طالق، وإذا خرجت يقول لها: أنتِ طالق، وإذا عادت يقول لها: أنتِ طالق... ولا يحاسب نفسه إذا خرج أو إذا دخل، ولا يلوم نفسه على شيء أبدًا، إنَّما نحن الملامون على أيّ شيء، وعلى كل شيء))[٣٧].

لقد استرعت مكانة المرأة الدونية وحريتها إلى جانب تمييز الذكور عن الإناث عناية الروائية، إذ تكشف الرواية عن تبعية المرأة للرجل على نحو يسلبها إرادتها بحجة الوصاية عليها وحمايتها، وإنَّ حرية التنقل تتعلق بـ ((الحرية الشخصيّة للإنسان))[٣٨]، التي من أبرز معانيها ((حرية الفرد في الرواح والمجيء))[٣٩].

ففي رواية ((زينب وماري وياسمين)) ترتسم في شخصيّة والد (ياسمين) غالبية الصفات الذكورية القامعة للحريات الشخصيّة، فتسلطه وقمعه يصلان إلى حد منعه لابنته من الخروج لزيارة صديقتها غير المسلمة فضلًا عن تدخله المباشر بانتقاد أولئك الصديقات لابنته على نحو ما تصفه الساردة قائلة: ((يريد أَنْ يمنعني حتى من الذهاب إلى بيت تبارك... أصبح يقول عنها أوسخ الألفاظ، أولًا لأنَّها لا تضع الحجاب على رأسها ولا تصلي... وثانيًا لأَنَّ أهلها احتفلوا بأعياد الميلاد ورأس السنة واشتروا من الكرادة شجرة الكريسماس ووضعوها قرب النافذة، وفي النهاية قال إنَّ اسمها حرام أيضًا))[٤٠].

تكشف الروائية عن موقف الأب الرافض لمسألة رفع الحجاب، وإنْ كان يخص فتاة من ديانة أُخرى، وقد جاء نعته إياها بأسوأ الصفات دليلًا على النظرة السطحية للمرأة، فهو يتخذ من الشكل الخارجي أساسًا للحكم[٤١]، ولقد ربطت الروائية في هذه الرواية حرية المرأة بحرية أوسع تتجلى بحرية الإنسان في اختيار دينه، وإظهار معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر، فقد ضمنت بنود الشرعة الدولية لحقوق الإنسان تمتع الإنسان بحقوقه ورفض كلّ مظاهر العنف الممارسة عليه، إذ منح بندها الثامن عشر الحق لكلّ شخص في حرية الدِّين، والفكر ويشمل ذلك الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده[٤٢].

إنَّ أساس الحرية والتسامح واحترام حقوق الإنسان تكمن في الكتب السماوية، فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[٤٣].

وما كان غائبًا في الرواية عن فكر الرجل المسلم، ووعيه تعاليم الشريعة الإسلامية كان حاضرًا في سلوك الأسرة المسيحية التي سمحت لابنتها باعتناق الديانة الإسلامية، وارتداء الحجاب، وزواجها من رجل مسلم، وهو ما تقدّمه الساردة (ياسمين) من خلال سردها الذاتي قائلة: ((اعتنقت الديانة الإسلامية دون أَنْ يجبرها أحد على ذلك، الغريب أَنَّ أهلها لم يرفضوها... ولم يقاطعوها... نذرت صوم الباعوثة ليومين ونصف اليوم لتنال حبيبها المسلم الذي أسلمت من أجله فالبسها الحجاب... كانت تزورنا مع أمها فأجدها الوجه الآخر لي... فهي مسيحية تحولت إلى مسلمة، ولكنها أصبحت أكثر إسلامًا من المسلمين))[٤٤].

تكشف الروائية عن مقدار الالتزام الديني والاختلاف في تطبيق الأحكام من إنسان لآخر مِمَّا يتسبب بولادة العديد من المفاهيم الخاطئة التي ترتسم في سلوك الإنسان، وتعامله مع الآخر، ويبدو أَنَّ الروائية قد تخطت بشخصيتها حدود البحث عن العدل بين الرجل والمرأة؛ فراحت تبحث عن العدالة بين الأديان؛ فهي تنكر على الرجل مقابلته للحرية الكبيرة التي منحتها الأسرة المسيحية للفتاة التي أحب وبتغيير دينها وزواجها به بالقيد المتجسد بالحجاب، وإنَّ الروائية ومن كل ما تقدم تحاول أنْ تمهد لشخصيتها برفع الحجاب، وهي في محاولتها لطرح قضية الحجاب تضع أمام قارئها جملة من الأسباب التي تدفع المرأة لارتدائه ويستطيع القارئ المتتبع لأحداث روايتها أَنْ يكتشف أَنَّ جميع تلك الأسباب كانت تصب في بودقة واحدة وهي الخوف، فياسمين ترتدي الحجاب خوفا من سلطة أُسرتها (الأب، والأخ، والزوج)، أمّا الفتاة المسيحية التي ارتضت الإسلام دينًا فكان ارتدائها للحجاب نابعًا من إحساسها بالخوف من عذاب الآخرة، والدخول في نار جهنم وهو ما يظهر من خلال الحوار الدائر بينها وبين ياسمين والذي تنقله (ياسمين) من خلال سردها فنستمع: ((الغريب أَنَّها وجهت لي سؤالًا، لماذا نزعت الحجاب، فلما كانت الدنيا صيف قلت لها ان الدنيا حارة، امتعضت وقالت بغضب الدنيا حارة؟ نار جهنم أشد حرًا، ولكني لم أعذب أحدًا فلماذا أدخل جهنم... لا استطيع أَنْ أقتل الذبابة ولم أؤذِّ إنسانًا في حياتي))[٤٥].

إنَّ التصغير من حجم المعصية لا يبرر للمرأة تركها للحجاب؛ فالحجاب هو اللباس الشرعي الملزم للمرأة المسلمة، وقد جاء عن (بلال بن سعد) في إحدى مواعظه التي هي أشبه بجوامع الكلم قوله: ((لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن أنظر إلى من عصيت))[٤٦].

لقد تسبب الخوف من بطش الجماعات المسلحة التي برزت على السطح بعد الصعود السريع للتيارات الإسلامويّة في ارتداء غالبية النساء العراقيات للحجاب بعد فرضه عليهن بالقوة من تلك الجماعات تحت ظل التهديد بالطرد من العمل أو القتل، وقد صاحب هذه الظاهرة بروز العديد من العصابات الدينية المتطرفة التي قامت بترويع النساء وفرض الزي الإسلامي عليهن عنوة في الشارع، وفي المؤسسات الحكومية سواء أكُن مسلمات أم من ديانات أُخرى، فـ ((سعيدة هانم)) الشخصيّة المحورية في رواية ((سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية)) ترتدي الحجاب بواعز الخوف وهو ما تصرح عنه الساردة وبصورة مباشرة من خلال سردها الذاتي قائلة: ((أنا أيضًا وضعت علامة استفهام كبيرة على ما فعلته هذا اليوم بارتداء الحجاب بدافع الخوف، وقررت أَنْ أتصل بالشيخ، فلم أفلح))[٤٧].

يتكشف بجلاء عدم قناعة الشخصيّة من مسألة ارتداء الحجاب، وقد عبرت الشخصيّة عن نقد ذاتها لذاتها من خلال انتقاد شخصيتها المتعددة ((مليكة جان)) لها، بعد رؤيتها بالحجاب، وهو ما يتبدى من خلال الحوار الصريح الدائر بين الاثنتين:

((ماذا تفعلين؟

- كما ترين... أجرب الحجاب.
- مو حلو.
- ليش مو حلو.
- لأَنَّهُ ليس أنت))[٤٨].

إنَّ ما تريده الروائية للمرأة مِمّا تَمَّ طرحه من إشكاليات ارتداء النساء للحجاب هو أنْ تقرر لنفسها الأفضل بعيدًا عن الضغط العائلي، والاجتماعي، والسياسي أو أية

ظروف خارجية طارئة، ولقد دأبت الروائية على استخدامها للغة الفصيحة مع مزجها بالعامية ((لتحقيق الانسجام بين الشكل والمضمون في التعبير عن الفكرة، إذ كان استعمال اللغة الفصيحة في اعتقادهم أقدر على التعبير عن الهواجس وجزئيات الأمور، فإنَّهُ لم يضّرهم أنْ يوظفوا المفردات العامية في الإطار الفصيح بما يحقق في توظيفها أداء له أهميّة في التأثير))[٤٩].

إنَّ ((مليكة جان)) تضع شروطًا للعريس الذي يعقد أخوها ((سليمان بك)) العزم في البحث عنه، فيكون عدم ارتدائها للحجاب واحدًا من تلك الشروط ((سليمان رحب بكل شروطها، وكثف جهوده للبحث عن عريس فنان يقدر فنها، ويتركها تعيش حياتها كما تريد ولا يجبرها على ارتداء الحجاب))[٥٠].

إنَّ (سعيدة هانم) باتت تشعر بسبب ارتداء الحجاب تحت الضغط الخارجي بفقدان ذاتها الأنثوية وإحساسها بالاغتراب وهو ما عبرت عنه من خلال سردها بضمير المتكلم قائلة: ((كنت أشعر بأَنّي لست أنا، ووجدت نفسي بعد أَنْ خرجت من البيت لا أعرف أين أدير وجهي من نظرات مليكة جان... إنَّها تريد أَنْ تشبهني بتلك الموظفة المحجبة التي أنجزت لنا معاملة القسام الشرعي قبل أيام، ثم أخذت الإكرامية بعد ذلك... قالت عنها إنَّها امرأة سيئة وإنَّها تأخذ الرشاوي من المراجعين، وتتعمد الميوعة عند الحديث مع الرجال، وتنفخ شفتيها وخدودها وتضع طنًا من المكياج على وجهها وبهذا فهي تستحق أن توصف بالسوء))[٥١].

لقد أسهم الوصف الانتقائي في الإحاطة بجانب من الأبعاد الداخلية والخارجية لشخصيّة المرأة الموظفة، فالروائية لم تقف على رسم ملامح الشخصيّة وحسب من حيث وصفها (للشفتين والخدود) بل اشتمل وصفها على أدوات ملحقة بتلك الشخصيّة من حيث (الملابس والزينة) فهي تنتقد جمعها بين الحجاب الذي يقتضي من المرأة عدم تبرجها أو إظهار زينتها، وبين إسرافها في وضع المكياج والتصرف بميوعة مع الرجال، وأخذها للرشوة فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ ﴾[٥٢].

إنّ شخصيّة المرأة الموظفة المتناقضة كانت من الأسباب في حيرة (سعيدة هانم) وترددها في ارتداء الحجاب ((موظفة القسام الشرعي التي تغيرت نحو الأسوأ، إلى نفسي التي تريد مليكة جان أَنْ تتغير نحو الأحسن بدون الخوف والرهبة...))[٥٣].

نحن نتفق مع ما جاء به الدكتور (أحمد إدريس الطعان) من أَنَّهُ إنْ كانت ((هناك من النساء من تمارس السلوكيات الشائنة من وراء الحجاب، فهذا أمر شنيع ولكنه لا يدعو إلى ازدراء الحجاب ورفضه؛ لأَنَّ مظاهر السفور والتبرج أولى بالرفض والازدراء، فالمنحرفات اللواتي يجنحن في انحرافهن إلى عرض مفاتنهن أضعاف اللواتي يفعلن ذلك من وراء الحجاب ومظاهر الحشمة))[٥٤].

ولقد قدمت الروائية جملة من الانتقادات على الصعيد الاجتماعي وتعدته إلى الجوانب السياسية، والثقافية، والدينية، وهنا تكمن الجرأة في الحديث عن المسكوت عنه، فتظهر الروائية سخط شخصيتها (سعيدة هانم) على اللافتات التي رفعت في مدينة الكاظمية، التي تمنع السافرات والمتبرجات من دخول المدينة ((قبل أيام علقوا في شارع النواب لافتات تطالب بمنع دخول السافرات والمتبرجات إلى مدينة الكاظمية، وقال خطيب الجمعة، إنَّهُ طلب من الحكومة العراقية مئات المرات بمنع دخول السافرات والمتبرجات إلى مدينة الكاظمية للحفاظ على قدسية المدينة وعدم تدنيسها))[٥٥].

إنَّ المعلوم عن مدينة الكاظمية بأَنَّها مدينة لها قدسيتها، ومكانتها الخاصة فهي منطقة دينية، وتجارية، وسكنية يرتادها الكثير من الناس للعمل والتسوق أو لزيارة الإمامين الشريفين ((عليهما السلام)) أو دخول بيوت الله لأداء العبادات، وإنّ الشرط الذي وضعته الحكومة بطلب من رجال الدين يكشف عن شرط الإذعان لتقاليد الجماعات الدينية الحاكمة للبلاد، وفرض قوانينها، وقد عبرت الروائية عن رفض شخصيتها لتلك القوانين وإدانتها لمساعي قوى السلطة لفرض إيديولوجيتها وتقاليدها الخاصة عنوة على المجتمع بشكل عام، وانتهاكهم للحريات الفردية والمدنية، والتدخل في أخص خصوصيات

الإنسان المتمثل بالملبس وطبيعته، وهو أمر يعد من حقوق الفرد الشخصيّة برؤيتها، وإنَّ الأخلاق لا تقاس بلباس الإنسان، ومظهره بل بسلوكه ووعيه والتزامه.

وتستمر الروائية في طرحها لأسئلة شخصيّاتها النسوية اللواتي قد لا يجدنَ أجوبة في بعض الأحيان، فهي تنقل صراعاتهن إلى القارئ الذي يجد نفسه شريكًا في صناعة الرواية وليس مجرد متلقٍ، فما تقدمه الروائية من قضايا هي من صميم الواقع في العصر الراهن فـ ((سعيدة هانم)) في روايتها ((سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية)) تعبّر عن تغير المواقف من المرأة في حجابها وسفورها بين الآن والماضي ((هل الدنس يحدده ثوب محدد، أو الشرف يحدده مقاس أصغر أو أكبر... فقد مر زمان علينا كانت النساء فيه سافرات حاسرات الرؤوس، ولا أحد يبحلق فيهن أو يضايقهن، أو يلتفت إليهن كما هو حادث الآن... الآن يجري كل شي (جوة العباية) كما يقول المثل الشعبي، ومن فوق العباية أيضًا فالرشوة تدفع من جوة العباية والسرقة تتم من جوة العباية))[٥٦].

لقد أغنت الروائية مشهدها الإبداعي بالعطاء الشعبي متجسدًا بما ورد بالقول: (كُلّ شيء جوة العباية)، وهو من الأمثال الشعبية التي استحضرتها الروائية من الذاكرة الشعبية نقلًا على لسان راويتها (سعيدة هانم) فيحضر هذا المثل في معرض سخرية الشخصية من اختلال القيم، والأخلاق، والنفاق الاجتماعي، فيسهم استعمال المثل في تزيين أساليب الكلام الخاصة، ورصد السلوكات الخاطئة، ومحاولة تقويمها، فلا يقتصر دور المثل الشعبي في ترسيخ القيم والعادات ونشرها فحسب، بل يسهم أيضًا في نبذه للسلبي منها[٥٧].

إنَّ ما طرحته الروائية تعبير عن موقف شخصيتها الرافض لقرارات رجال الدين والسياسة، وهو أمر يشي إلى ما حققته المرأة الروائية في امتلاكها لزمام الحكم كما يملكها الرجل وما يسمح له أن يخوض غماره في إبداعاته هي أيضًا قادرة على الخوض فيه.

إنَّ نظرة المجتمع العراقي للمرأة السافرة في العصر الراهن نظرة انتقاد واستهجان، وأَنَّ ارتداء المرأة للحجاب في بلدنا أصبح محاطًا بجملة من الارتباطات التي لا تقتصر على الالتزام الديني بها بقدر تدخل ظروف كثيرة برزت في المجتمع ومن أبرزها

الاحترازات الأمنية التي توجب الفتيات لبس الحجاب لدرء تهديدات الجماعات المتطرفة، فها هي ((سعيدة هانم)) تصف نظرة السائق غير الطبيعية لزوج أخيها السافرة قائلة: ((لم أشعر بالندم أبدًا عندما وقف سليمان بك مع حقيبة كبيرة واخذ زوجته السافرة معه... قادها من يدها فنظر لهما السائق شزرًا، وساق سيارته على مضض باتجاه الطريق الرئيس))[٥٨].

إنَّ تهديد الجماعات المسلحة لم يقتصر على النساء السافرات المسلمات بل تعداه إلى السافرات من الديانات الأُخرى وهو ما تقدمه ((ياسمين)) عبر سردها الموصوف قائلة: ((انتهى الوقت الذي أصبحت فيه علامات الاستفهام تكتب فوق رؤوس اليتامى، والفقراء، والمساكين، وبقليل من الحرية التي عزَّ على بالنا أنْ تأتي بعد نهاية الخوف، لبسته حتى أم تارا وتبارك وطيبة ابنة المديرة، آينور ابنة الدكتور جميل طبيب المفاصل والعظام... حدث هذا بعد الحرب))[٥٩].

تنوه الروائية إلى أَنَّ ظاهرة انتشار الحجاب التي برزت في الآونة الأخيرة كانت لأهداف سياسية تقودها جماعات الإسلام السياسي من أَجل صبغ العراق بالصبغة الإسلامية، وهي بتشخيصها للمشكل تصل إلى نصف الحل فكانت روايتها صرخة احتجاج على ما تتعرض له المرأة من ضغوطات ومكابدات وتضييق لحريتها، إنَّ الدِّين الإسلامي دينٌ سمح، ويحبذ السماحة، وإنّ ثقافة الإسلام قائمة على ((التوازن بين الروح والجسد بين العقل والعاطفة، بين المادة والميتافيزيقيا، بين الدنيا والآخرة... وهذا ما يميز ثقافة الإسلام عن الثقافة الغربية المادية))[٦٠].

إنَّ رؤية الإنسان المسلم للمرأة المسلمة وهي تنأى عن ثقافتها الدينية وهويتها الإسلامية المتمثلة بالتزامها بلباسها الذي يميزها عن غيرها من النساء غير المسلمات تُوجب عليه اللجوء إلى ((الإقناع باستخدام المنطق والحوار والدليل والبرهان والتركيز على المفاهيم الإسلامية وتجذير القيم الأخلاقية في شخصيتها، كي يمكن لها المحافظة على هويتها الإسلامية وقيمها الأخلاقية عن قناعة داخلية وليس بأسلوب الفرض والقسر،

عندئذ تتحول ليس فقط كامرأة مسلمة ملزمة ومحافظة على قيمتها وأخلاقها وإنَّما داعية ومحافظة عن ذلك))[٦١].

وتعد (حنان) إحدى الشخصيّات المشاركة في رواية ((أجمل حكاية في العالم)) أنموذجًا للمرأة المفعمة بالحماس الوطني الذي يتبدى بتشجيعها لزوجها (حسن) على أداء واجبه إزاء الوطن على أتم وجه وهو ما يصرح به (حسن) الشخصيّة الساردة بضمير المتكلم قائلًا: ((الوحيدة التي ساندتني في ضرورة الالتحاق وعدم التخلف عن وحدتي، هي زوجتي التي كانت لا تجزئ حبها لي عن رفضها للامتثال لما بدا للجميع فرصة للفرار))[٦٢].

وإلى جانب الحس الوطني تضيف الروائية لشخصيّة ((حنان)) خصال أُخرى حميدة، فهي امرأة نظيفة من الداخل والخارج، لا تكذب ولا تغش، بيّد أَنَّ كُلّ ما تتمتع به من مزايا لم يشفع لها أمام زميلاتها المعلمات المحجبات اللواتي يبدين سخطهن الدائم نحوها لعدم ارتدائها الحجاب ((فأصبحت هي في أرض غير معروفة... بل أكثر من ذلك أصبحت غريبة عن أولئك المربيات اللواتي أزلن كل الأغطية عن وعاء الأخلاق فبدا أَنَّ الوعاء كان فارغًا من الأساس، وكلما زاد وعائهن فراغًا زاد تقريعهن لها على عدم ارتدائها الحجاب على رأسها، فزادت غربتها هي عنهن وفاض وعائها بالحجج والدفاعات))[٦٣].

يكشف النص عن إحساس البطلة بالاغتراب الناجم عن تباين المواقف من مسألة ارتداء الحجاب بينها وبين زميلاتها في العمل، وإذ تحاول (حنان) أَنْ تتخطى تلك النظرة الساخطة لهن بالدفاع عن نفسها المدعم بالحجج والبراهين بوصفها سافرة يزداد إحساسها بالغربة والبون بين ذاتها وذوات الزميلات اللواتي بدين وفقًا لتقديم السارد من خلال وصفه المسرود لهن مجردات مما تحمله زميلتهن من خلق وسلوك مع لبسهن للزي الإسلامي.

لقد استدعت مسألة ارتداء الحجاب أو رفعه العديد من القضايا ومنها: التعصب، والتسامح، والإرهاب، والحرية إلى جانب الحضارة والديمقراطية وغيرها، وهي من القضايا التي طال الجدل والحوار بشأنها بين العديد من التيارات الثقافية، والإعلامية، والفكرية شرقًا وغربًا[٦٤].

وفي رواية ((شاي العروس)) تكشف الروائية عن الفرق بين ملبس النساء العراقيات في الماضي وشكل ملبسهن، ومظهرهن، وزيهن وتحوله إلى اللباس الإسلامي في الحاضر؛ إثر تعميم لبس الحجاب عليهن وهو ما يتبدى لمحمود الشخصيّة المحورية في الرواية بعد إبصاره فينقله السارد من خلال وصفه المسرود قائلًا: ((الطريق من مساحة لأُخرى تمرُّ به النساء المحجبات اللواتي نادرًا ما يعتنين بمظهرهن ويخيل له إن ذرات الغبار تنطلق من ملابسهن التي تلامس الأرض الوسخة وتكنسها بأذيالها. بينما آخر ما يتذكره من ملابس النسوة قبل عماه هو الحقائب والعطور والفساتين ذات الورود والياقات المفتوحة عن الاذرع والسيقان))[٦٥].

لقد قدمت الروائية العديد من الشخصيّات التي أبدت امتعاضها من مسألة ارتداء الحجاب قسرًا بواعز الخوف لا القناعة فشخصيّة ((ياسمين)) في روايتها ((زينب وماري وياسمين)) باتت مسكونة بهاجس الحجاب الذي لم يكن برؤيتها إلَّا قيدًا تضيق برائحته تارة، وسؤالًا تجهل الإجابة عنه تارة أُخرى، وهي لا تكتفي برفعه عن رأسها بل تتخذ القرار برفعه عن رأس ابنتها زينب وفقًا لما تسرده قائلة: ((صرخ من بعيد وقال:

- المدير أعطاني هذا... لقد نسيتم حجاب زينب
- توقفي يا ياسمين...
- ولكن لم أتوقف))[٦٦].

إنَّ قرار ياسمين برفع الحجاب عن رأسها ورأس ابنتها كانت أسبابه تتعلق بما أبصرته عيناها من تناقضات الناس في المجتمع وتباين أفكارهم، فظاهرهم يعكس خلاف باطنهم وهو ما التمسته (ياسمين) بشخص أقرب الناس إليها أبيها (عبدالواحد) وزوجها (إبراهيم).

يبقى الحجاب بالنسبة للمرأة المسلمة زيّها الشرعي المعبّر عن انتمائها الديني وهويتها التي تميزها عن غيرها من النساء.

الخاتمة:

وبعدما تَمَّ عرضه من روايات اعتمدنا عليها في بحثنا هذا لمتابعة مفهومي العيب والحرام في عالم الروائية يمكن لنا أَنْ نوجز أهم النتائج التي توصلنا إليها على النحو الآتي:

- ولوج الروائية في العوالم الداخلية الحميمية للمرأة المحجبة التي تعيش تحت حجابها صراعات عنيفة قد لا يعلمها أحد سواها، وقد بينت الروائية أَنَّ الخوف هو الدافع الأساس الذي يقف وراء ارتداء العديد من شخصياتها النسوية للحجاب.
- تأكيد الروائية على سيطرة ثقافة العيب التي أخذت تستدرج الإنسان لتُغيب عن حياته ثقافة الحرام؛ إذ اتخذت الروائية من السخرية في بعض رواياتها وسيلة للكشف عن اختلاط المفاهيم بين النَّاس؛ فكلمة العيب وما يدخل في طياتها من زجر وصد عن أمور قد طغت على حياة النَّاس أصبحت من العموميات التي تنافس القوانين وحتى الدِّين.
- تتخذ الروائية من ثيمة الحرام وسيلة لتعرية الحكومات السياسية وانتقادها لصفة الازدواجية والرياء في شخصيات بعضهم باتخاذهم من الدِّين وسيلة لكسب الشرعية، فتبرز الدعوة المتقدمة لعزل الدِّين عن السياسة، مِمَّا يشي إلى خطورة الطرح الإيديولوجي في العالم الروائي ضمن الإطار الدّيني الذي ينبثق منهُ.
- كشفها عن مسألة إلزام المرأة بارتداء الحجاب بصفة العيب لا بصفة الواجب الشرعي؛ فقد خلقت الروائية لنفور بعض شخصياتها النسوية من ارتدائه وتمردهن عليه أسبابًا منها: اعتماد بعض أفراد الأسرة على أسلوب الترهيب والزجر بدلًا من الترغيب والإقناع في عرضهم لمسألة ارتداء الحجاب على النساء، إلى جانب تناقض بعض الشخصيات النسوية المحجبة وازدواجية الشخصية المُلزمة للبنات بارتداء الحجاب؛ فهي شخصيات قدمتها الروائية على أَنَّها شخصيات تخشى العيب وتفعل بالمقابل كُلّ ما هو عيب وحرام، فضلًا عن تلميح الروائية إلى قصور

المؤسسات التعليمية في بيان شرح مقاصد وضع الحجاب على الرأس بشكل صحيح؛ بوصفه لباس العفة والاحتشام.

الإحالات والمصادر:

(١) ينظر: النص الأدبي من منظور اجتماعي، مدحت الجيار، ط١، دار الوفاء والدنيا للطباعة والنشر: ٢٠٠٢: ٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٨٥.

(٣) ينظر: ثقافة العيب، عيب الثقافة، محمود التابع، مجلة إيلاف، نشر بتاريخ ١٢ أغسطس، ٢٠٠٩ على الموقع الإلكتروني www.Newspapapers<web>elaph.com.

(٤) زينب ماري وياسمين، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٢: ٥٧.

(٥) الرواية النسائية العربية وخطاب الذات، الأستاذة سعاد الطويل، مجلة المخبر، الجزائر، ع ٦، ٢٠١٠: ٠٤٣

(٦) ينظر: غالب هلسا والمرأة، صالح حمارنة، المجلة الثقافية، ع ٢٩، ٢٠٠٩: ١٣٠.

(٧) زينب وماري وياسمين، ميسلون هادي: ٥٧ – ٥٨.

(٨) سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٥: ٤٣.

(٩) المصدر نفسه: ٤٣.

(١٠) حفيد البي بي سي، ميسلون هادي، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٢: ٢٨٦.

(١١) أجمل حكاية في العالم، ميسون هادي، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٤: ٢٦.

(١٢) بين الحملة الإيمانية والأسلمة، سمير عادل، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، ٢٠١٦: ٣.

(١٣) الرواية النسائية العربية وخطاب الذات، سعاد الطويل، مجلة المخبر، الجزائر، ع٦، ٢٠١٠: ٥٣.

(١٤) ينظر: تحرير المرأة، قاسم أمين، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، مصر، ٢٠١٢: ١٤.

(١٥) ينظر: دوائر الخوف (قراءة في خطاب المرأة)، حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٤: ٦٣

(١٦) ينظر: المصدر نفسه: ٦٢–٦٣.

(١٧) المصدر نفسه: ٦٢–٦٣.

(١٨) سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية: ١٨٦.

(١٩) بين الثقافة والسياسية، عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨: ٥٣.

(٢٠) ينظر: حضرة المحترم وأنسنة السرد الايديولوجي، محمد أسويرني، مجلة فصول، مجلد ٦، الهيئة المصرية العامة، ع ٣، ١٩٨٦: ١٣٥.

(٢١) ينظر: شعرية المثل في رواية نيسان com لأحلام مستغماني، أ. أحلام بن الشّيخ، مجلة الأثر، ع١٧، ٢٠١٣: ٣٥.

(٢٢) زينب وماري وياسمين: ٥٠.

(٢٣) ملامح في صورة المرأة ضمن المرأة والكتابة، نادية العثيري، منشورات كلية الآداب، مكناس، المغرب، ع ٩، ١٩٩٦: ٩٨.

(٢٤) زينب وماري وياسمين: ٣٢.

(٢٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

(٢٦) تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٨: ٣٥٢.

(٢٧) الدلالة المحكمة لآيات الحجاب على وجوب غطاء وجه المرأة، لطف الله خوجة، المحدث للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦: ٩.

(٢٨) زينب وماري وياسمين: ٢٥ .

(٢٩) المصدر نفسه: ٢٥.

(٣٠) المصدر نفسه: ٢٥.

(٣١) ينظر: فلسفة الحجاب، د. أحمد إدريس الطعان، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد ٢٧، ع٤، ٢٠١١: ٢٢٥.

(٣٢) الأعراف: الآية ٢٦.

(٣٣) فلسفة الحجاب، د. أحمد إدريس الطعان: ٢٣٠.

(٣٤) ينظر: المرأة وحجابها، تأليف مجموعة من الباحثين والكتاب، وزارة الإعلام، دار بترا للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩: ٧٧.

(٣٥) ينظر: قضايا المرأة في الخطاب النسوي المعاصر (الحجاب أنموذجًا)، ملاك إبراهيم الجهني، مركز نماء للدراسات والبحوث، ٢٠١٥، ٢.

(٣٦) ينظر: خارج الجسد لعفاف بطاينة، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤: ٣٧٨، وينظر: رواية عباد الشمس، لسحر خليفة، دار الآداب، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٨: ٨٣.

(٣٧) زينب وماري وياسمين: ٧٣.

(٣٨) حقوق الإنسان في روايات عبدالرحمن منيف، خديجة شهاب، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٩: ١٣٠.

(٣٩) حقوق الإنسان ((مدخل إلى وعي حقوقي))، أمير موسى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢: ٤٠.

(٤٠) زينب وماري وياسمين: ٠٧٣

(٤١) ينظر: رواية ((حلم وردي فاتح اللون)) الحكم على جوزيل استنادًا إلى مظهرها الخارجي وفقا لرؤية ياسر لها: ٠١٣٢

(٤٢) ينظر: حرية الدين أو العقيدة للجميع، أدبراون، كرستين ستوركر، حقوق الطبع تحالف ستيفانوس الدولي، ٢٠١٢: ٩.

(٤٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

(٤٤) زينب وماري وياسمين: ٠١٣٠

(٤٥) المصدر نفسه: ٠١٣٠

(٤٦) مع بلال بن سعد رحمه الله، أ. د. محمد أديب الصالح، مجلة حضارة الإسلام، س١٧، ع ٧، ١٩٧٦: ٠٢٧

(٤٧) سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية: ٤٤.

(٤٨) المصدر نفسه: ٤٢.

(٤٩) الريف في الرواية الجزائرية دراسة تحليلية مقارنة، أطروحة دكتوراه مقدمة للطالب سليم بتقه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠٠٩-٢٠١٠: ١٠٦.

(٥٠) سعيدة هانم ويم غد من السنة الماضية: ٩٤.

(٥١) المصدر نفسه: ٤٢.

(٥٢) سورة النور: الآية ٣١.

(٥٣) سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية: ٤٤.

(٥٤) فلسفة الحجاب، د. أحمد إدريس الطعان: ٢٢٦.

(٥٥) سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية: ١٤٦-١٤٧.

(٥٦) المصدر نفسه: ١٤٦-١٤٧.

(٥٧) ينظر: مدخل لدراسة الفلكلور، دراسات في التراث الشعبي الفلسطيني، نبيل علقم، دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠١٣: ٣٨.

(٥٨) سعيدة هانم ويوم غد من السنة الماضية: ١٨١.

(٥٩) زينب وماري وياسمين: ١٩٧.

(٦٠) المرأة في زمن متغير، عبدالله أحمد اليوسف، القطيف المملكة العربية السعودية، المنطقة الشرقية، ط ١، ٢٠٠٤: ٥٢.

(٦١) المصدر نفسه: ٥٣.

(٦٢) أجمل حكاية في العالم: ١٧٧ – ١٧٨.

(٦٣) المصدر نفسه: ١٧١.

(٦٤) ينظر: فلسفة الحجاب، د. أحمد إدريس الطعان: ٢١١.

(٦٥) شاي العروس: ١١٦.

(٦٦) زينب وماري وياسمين: ٢٠١.